

[مختص] فن الخطوط العربية(*)

تأليف: آدم غاتسك (**)

عصام محمد الشنطي (***)

إن دراسة الملاحظات التي في العادة ما يدونها ناسخو المخطوطات ومالكوها الأوائل تُعدُّ بحق من الجوانب الأكثر تشويقاً في مجال علم الخطوط وتطوره، ومن بين الملاحظات يجد الباحث كافة أنماط الأدعية والتعاويد السُحرية.

واحدي هذه الأدعية تتضمن استعمال كلمة «كبيكج» التي يكتفها كثير من الغموض: وهي - في الغالب - تُكتب على الورقة الأولى أو الأخيرة من المخطوطة. وكثيراً ما تسبق هذه الكلمة أداة النداء «يا»، فتضفي عليها روحاً خاصة، وغالباً ما يتم تكرارها عدة مرات (يا كبيكج، يا كبيكج، يا كبيكج) أو تظهر في صورة جملة مثل: يا كبيكج احفظ الورق، أو أن يلحقها صفة حافظ أو حفيظ (يا كبيكج يا حافظ)⁽¹⁾.

وإذا ما رجع الباحث إلى معجم فير للغة العربية المعاصرة⁽²⁾ يجد أن هذه الكلمة تعني قدم الغراب الآسيوي.

(*) مقالة نشرها Adam Gacek، باللغة الإنجليزية، بعنوان :

The use of "Kabikaj" in Arabic manuscripts

في مجلة : Manuscripts of the Middle Cast, Vol. 1 (Leisen 1989) pp. 49 - 53.

ويشكر المؤلف في آخر الحواشي الدكتور ف. كيشفارتس على مساعدته في النصوص الفارسية، والدكتور جان جست ويتكام الذي اختار من مجموعة مخطوطات «ليدن» بعض نماذج به كبيكج، وزوّده بصور منها.

(**) تشيكي الأصل، ولد في ٢٠ ديسمبر ١٩٤٩م. وقيم الآن في كندا، رئيساً لمكتبة الدراسات الإسلامية جامعة ماكجيل، ومحاضراً في معهد الدراسات الإسلامية التابع لها، وهو أحد الباحثين المدققين في حقل علم المخطوطات العربية والإسلامية، وعلم المكتبات، له كتب كثيرة نذكر منها: فهرس المخطوطات العربية في جامعة ماكجيل (١٩٩١م)، والكتب العربية المطبوعة بالليثوغراف «طبع حجر» (١٩٩٦م)، وتراث المخطوط العربية: بليوغرافيا ومعجم للمصطلحات (ليدن، إبريل ٢٠٠١م)، وهو إنجاز رائد، ومن بحوثه ما كشف فيه عن طريقة لصناعة الورق في اليمن، في القرن السابع الهجري، وهي غير الطريقة المعروفة في المخطوطات - المترجم.

(***) خبير معهد المخطوطات العربية (القاهرة)، مدير سابقاً، والشكر خالص للصديق د. أيمن فؤاد سيد الذي أعارني عدد المجلة المتضمن هذه المقالة القيمة التي تجيب على سؤال طالما سئلته.

(١) انظر مثلاً:

R. Selheim, Materialien Zur arabischen Literaturgeschichte, Teil I (wiesbaden, 1978), pp. 50, 355;

A. Gacek, Catalogue of Arabic manuscripts in the library of the Institute of Ismaili Studies (London, 1984), Vol. 1, No. 139R

(حيث يُستعمل مصطلح كبيكج للإيجاء بفحيج الأفاعي)، وأيضاً (illus) No. 28, and p. 80 والكلمة غالباً ما تكتب كبيكج أو كبيج.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة عربي - إنكليزي. H. Wehr. Adictionary of modern written Arabic, ed by

J. M. Cowan (New York, 1976), p. 812.

ويعرّف ستينجاس^(١) الكلمة بأنها: «نوع من نبات المَقْدُونِس البري ذي سُمّ قاتل، وأنها الملاك الحارس للزواحف، وملك الصراصير (في الهند كثيراً ما تُكتب الكلمة في الصفحة الأولى من الكتاب، لاعتقاد خرافي لديهم أن الصراصير سوف تُحجم عن إيذاء الكتاب احتراماً لاسم ملكهم)».

وفي ضوء هذا التعريف فإن «كبيكج» تعني - في آن واحد - نباتاً، كما تعني نوعاً من الجنّ، يكفي ذكر اسمه، ليحمي الكتاب من الديدان (الأرَضَة والسوس) والحشرات.

ويخبرنا «دوزي»^(٢) بدوره أن «كبيكج» في أصلها كلمة فارسية، بينما «دايخدا»^(٣) مشيراً إلى مصادر مختلفة يذكر للكلمة مرادفاتا العربية مثل: كف السبوع (أو كف الأسد)، وكف الضبّ، وشجرة الضفادع، والشقيق (ورد الحب)، والشقيق بالعربية، والذي يُعرف أيضاً بالشقيق النعماني أو شقيق البساتين، له عديد من الأشكال مثل: التبني، والحريف والشريير (ويسمى أيضاً زَغَلِيلَة)، والبصيلي (ويسمى أيضاً ضُفَيْدَع)^(٤).

ويرى معين^(٥) أن «كبيكج» هي تعريف لـ Kabikag (وهي في الأصل كبيكه) ولها صور أخرى هي كبيكنج، ويضيف أنه كان يُعتقد أن الحشرات تهرب من رائحتها.

ويقدم «دايخدا» معلومة أخرى مفادها أنه يُعتقد أن الكلمة بالسريانية هي اسم ملك ذي سلطان على الحشرات، إلا أن هذه المقولة لا يمكن تأكيدها؛ لأن علم دلالات الألفاظ وتطوره في اللغة السريانية يجعلها غير محتملة.

أما البيروني (توفي ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) فيرى أن الكلمة مشتقة من كلمة كابي الهندية (السنسكريتية)، بمعنى قرد وقدم تفسيرين جديرين بالتقدير، أولهما لأن القرد دائم الحركة ولا يهدأ، ومن يقترب من ذلك النبات يصبح مثله، والثاني لأن القرد يحب ذلك النبات، فاكتسب النبات اسمه^(٦)، وكلمة كج تعني ملتو ومنحن، وهي صفة تناسب النبات بجذوره الليفية السميقة وأوراقه المتسلقة.

(١) F. Steing ass, Persian - English dictionary (Farhang - Istoyngas) (London 1977), p. 1013

(٢) R. Dozy, Supplement aux dictionnaires arabes, 3e ed. (Paris, 1967), Vol. 2, p. 441;

وانظر أيضاً Wörterbuch der klassischen arabischen Sprache

حيث ترد الإشارات إلى أعمال طبية عربية أخرى، Band I (Wiesbaden, 1970) P. 542.

(٣) Ali Akbar Dihkhuda, Lughat, namah (Teheran, 1366 - 1400 [1964 - 1979]), Vol. 27, p. 331

(٤) Hassan Kamal, Encyclopaedia of Islamic medicine (Cairo, 1974), p. 555

(٥) Muhammad Muin, Farhang - i Farsi - i mutavassit (Teheran 1398 - 99/ 1977 - 78), Vol. 3, p. 2895

(٦) Mahammad ibn Ahmad Al-Biruni. Saydanah, (translated into persian by Abu Bakr ibn Áli al-Kasani Teheran, 1977), Vol. 2, p. 579.

ملاحظة: الاسم اللاتيني «ranunculus» - (عائلة نباتية) هو تصغير rana بمعنى ضفدع إن اشتقاق كلمة «كبيكج» من

وفي المخطوطات المغربية تظهر الكلمة بصورتها المحرّفة «كيكتج»، وتُستعمل بوضوح طليّماً (تعويذة، تحويطة)^(١)، ويخبرنا بكر الإشبيلي (توفي ٦٢٨ أو ٦٢٩هـ/ ١٢٢١ - ١٢٢٢م)، في الفصل الأخير من كتابه «التيسير في صناعة التفسير» عن دور طائر الهدد وريشه في حفظ المخطوطات. كما يذكر نقلاً عن شخص يُدعى محمد السميري أنه إذا كتب أحدهم «يا كيكتج» على الورقة الأولى والأخيرة من الكتاب، فمن المؤكد أن الديدان لن تهاجمه^(٢).

وواضح أن الأثر السحري لكلمة «كبيكج» يشبه إلى حد كبير أثر كلمة «بدوح» حينما تُكتب على المخطوطات أو غيرها من الأشياء، سواء في صورتها الكاملة بالحروف، أو ما يقابلها بحساب الجُمَّل (٢، ٤، ٦، ٨)^(٣).

ومن وجهة نظر علم النبات فإن «كبيكج» (ويعرف أيضاً بنبات الحوذان الفارسي أو ذي العمامة) نبات ينتمي إلى العائلة الحوذانية، وهي عائلة يندرج تحتها نحو أربعمئة نوع، كثير منها ذو سُمّية عالية^(٤).

إن استخدام غراء الحوت أو معجون النشا أو العسل في صناعة تجليد الكتب العربية كثيراً ما كان يجلب أنواع الديدان والحشرات كافة، وكان الأمل أن يقوم نبات الكبيكج بطردها جميعاً، لذا فإن المرء كثيراً ما يلقي أوراقاً نباتية جافة في المخطوطات، ولكنها ليست بالضرورة من أوراق الكبيكج.

ولاشك أن إضفاء قوى سحرية على «كبيكج» أسهم في سرعة اختفاء معرفة الخصائص السامة لهذا النبات، على أنه من الصعوبة بمكان أن نجزم بقدرة الكبيكج على حفظ الورق، دون تحليل كيميائي دقيق.

اللفة السنسكريتية فيه طرافة، خاصة حين نعلم أن كابي مصطلح ينسحب على الإله «فيشنو»، (وهو الحامي الهندوسي المقدس) (انظر J. T. platts, A dictionary of Urdu, Classical Hindi and English Oxford, 1982, p. 811).

وعند A. Dietrich في كتابه (Medicinalia Arabica, (Göttingen, 1966), p. 41, n. 1) ما يفيد أن قيمة تكرار ذكر يا كبيكج ٦٦ مرة تساوي ذكر اسم الله!

(١) عبد الهادي التازي «الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ»، الرياض، ١٩٨٣، ص ٢٥.

(٢) بكر بن إبراهيم الإشبيلي، كتاب «التيسير في صناعة التفسير»، تحقيق عبد الله كتون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ٦٠)، ص ٤٠ وللهدد انظر: A. J. Wensinck, E. I. 2, Vol. 3, pp. 541 - 542.

(٣) D. B. Macdonald, «Buduh», E. I. 2. Suppl., Fasc. 3 - 4, pp. 153 - 154.

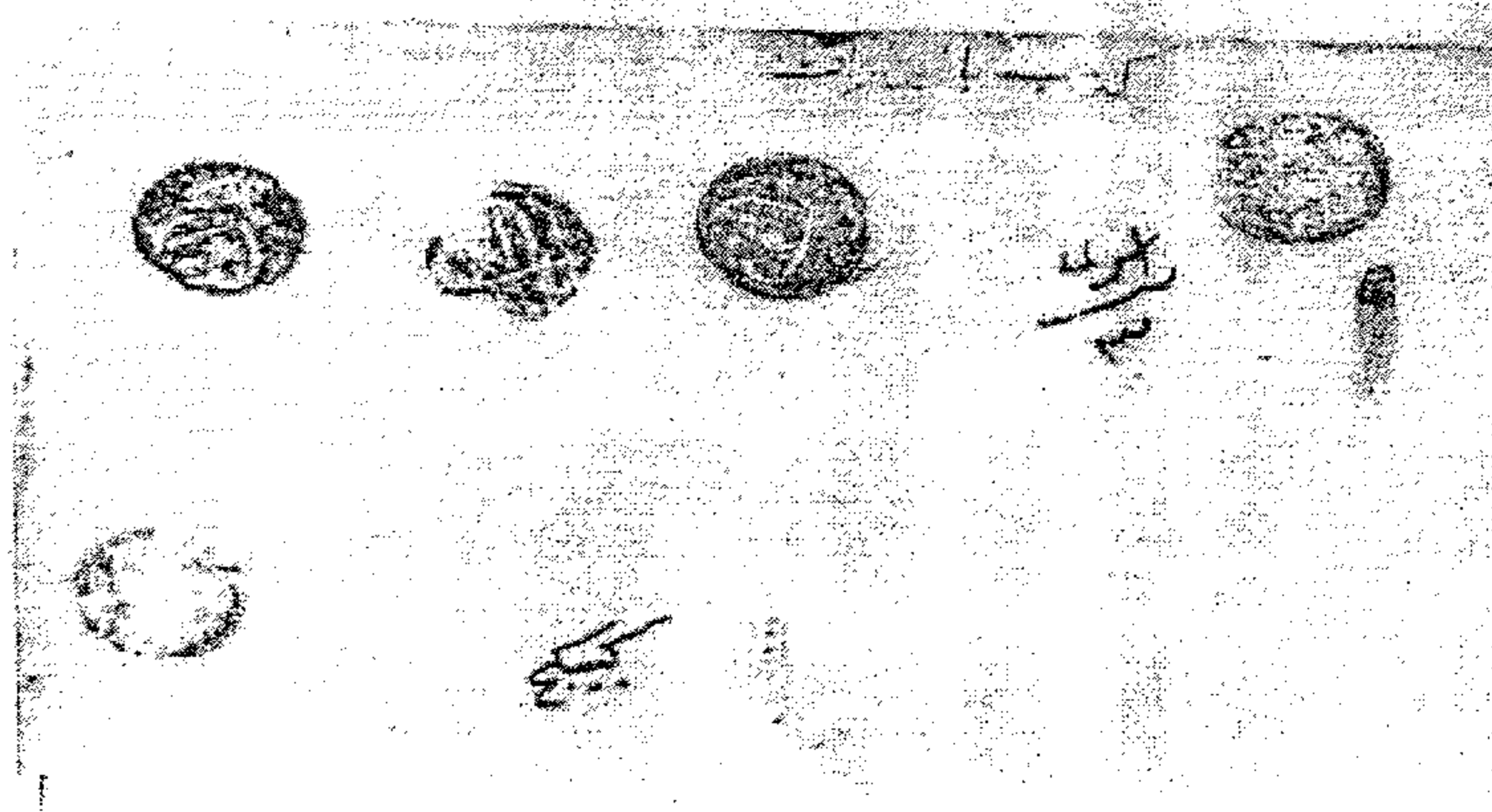
وانظر مثله أيضاً في الترجمة العربية (دائرة المعارف الإسلامية)، المجلد، ص ٤٩٦ - ٥٠٤.

و Silvestre de Sacy, chrestomathie arabe, 2 ed, (Paris, 1826 - 27), Vol. 3, pp. 364 - 366

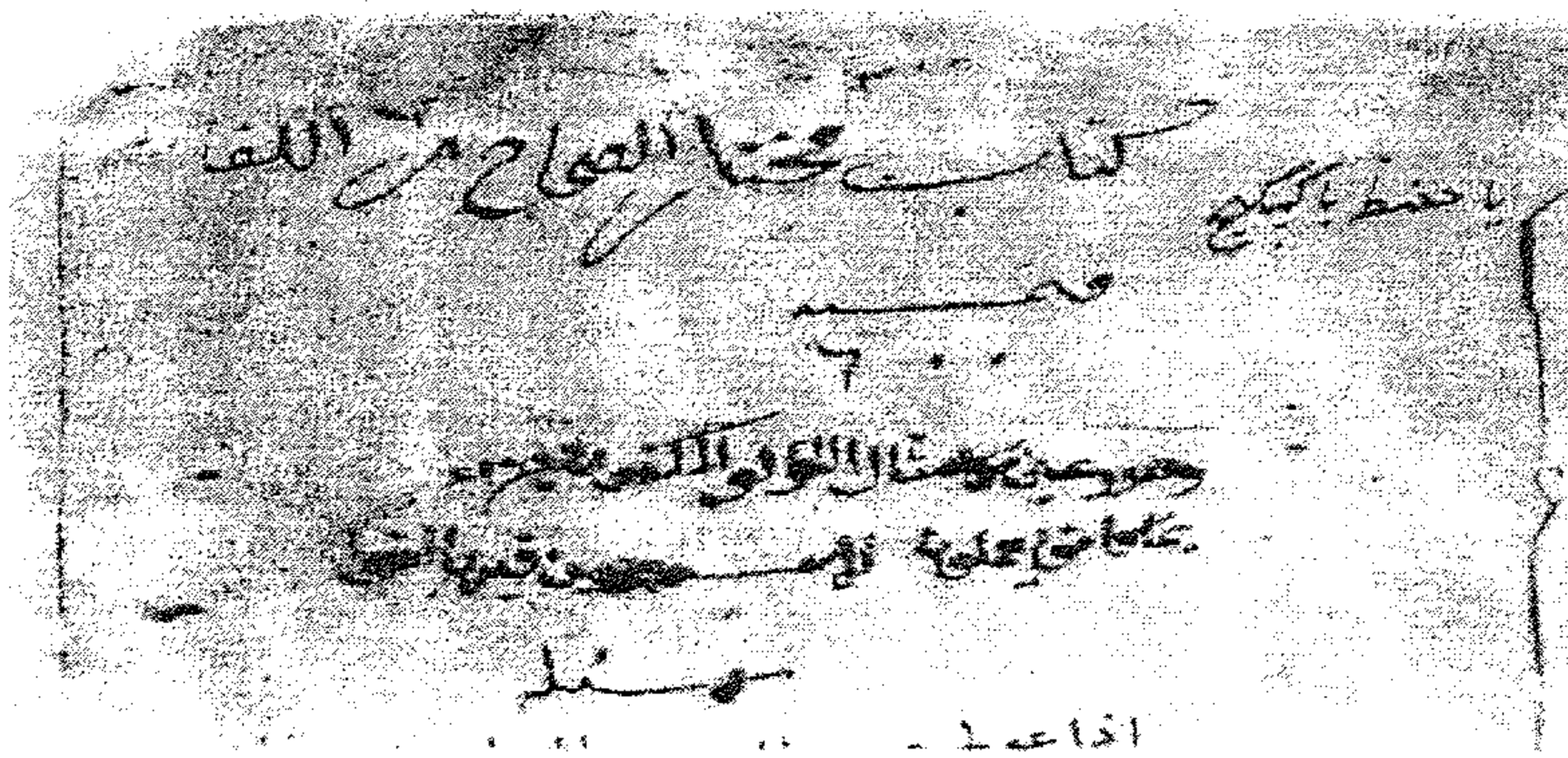
(٤) انظر على سبيل المثال: F. Stary, poisonous plants (London, Hamlyn, 1983), p. 170.

نماذج وأمثلة لـ «كبيكج»، مختارة من مخطوطات مكتبة جامعة ليدن

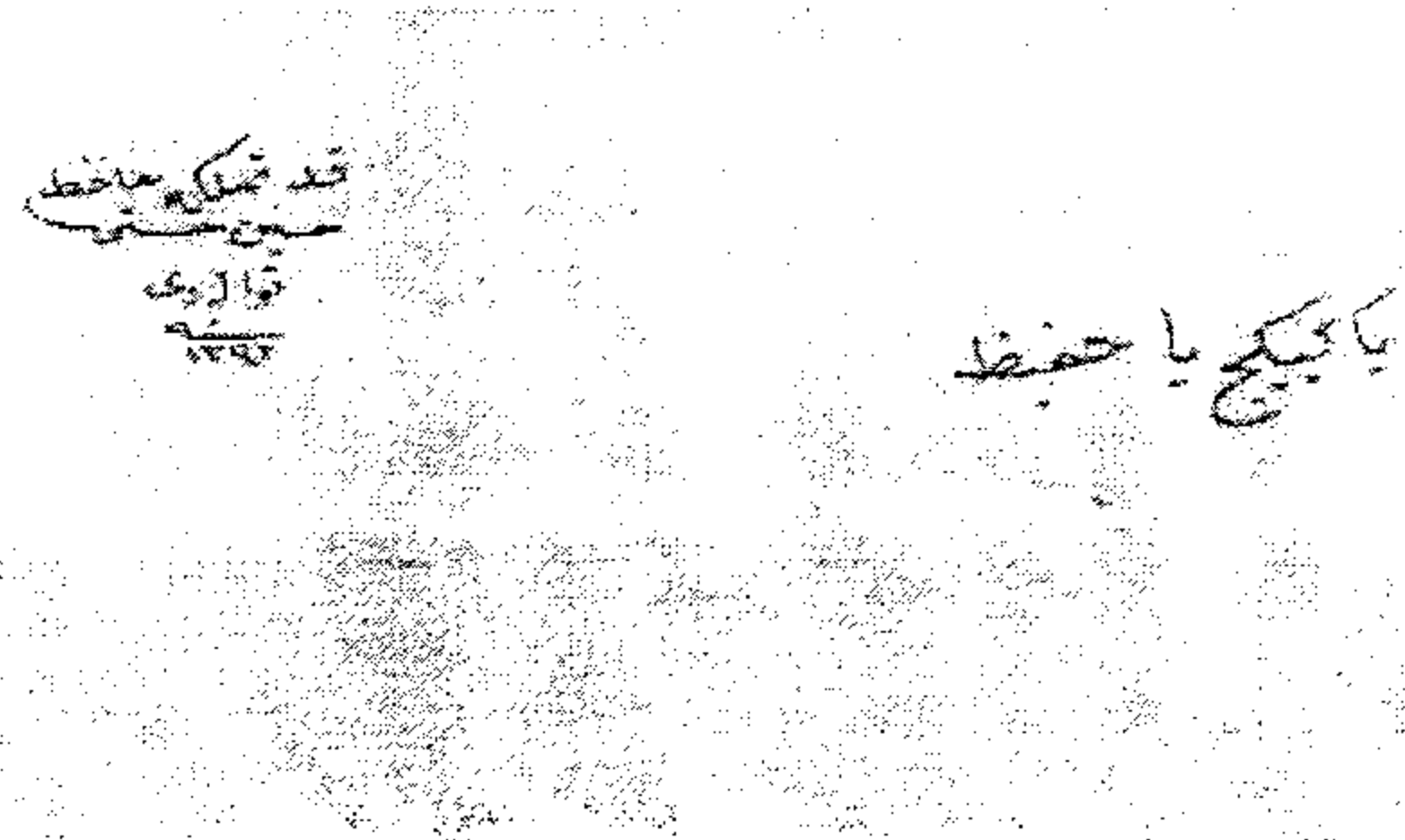
- ١ - كبيكج. مخطوطة رقم or. 11.610 : المختارات - في الفقه الحنفي. لـ علي بن أحمد الجمالي (توفي ٩٣١هـ / ١٥٢٥م). تركيا، القرن ١٨م [١٢هـ].
- ٢ - يا حفيظ يا كبيكج. مخطوطة رقم or. 11. 601 : مختار الصُّحاح - مختصر معجم الجوهرى مؤرخة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م. من تركيا.
- ٣ - يا كبيكج يا حفيظ مخطوطة رقم or. 11. 564 : متقن الرواية في علوم القراءة والدُّرّاية، لـ ابن الكتّاني (القرن ١٨ - ١٩م) / [١٢ - ١٣هـ]، مؤرخة في إستانبول ١٢٢٩هـ / ٨١٤م.
- ٤ - يا كبيكج احفظ مخطوطة رقم or. 8513 : «خلاصة الإعراب»، لـ حاجي بابا - شرح على المصباح للبيضاوي، تركيا، القرن ١٨م. ١٢هـ.
- ٥ - يا كنينكج. مخطوطة رقم or. 14. 257 ، ورقة ٢٢٩ ب: «شرح لب الألباب في علم الإعراب»، لـ نقره كار، من تركيا أو إيران، القرن ١٧ - ١٨م [١١ - ١٢هـ].
- ٦ - أكينكج كج كج، مخطوطة رقم or. 11. 684 : «زبدة البيان في حرفة عيون الأعيان» - شرح لموجز أبي زيد عبد الرحمن الأخضري - في العقيدة الإسلامية مؤرخة ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م. من المغرب.
- ٧ - يا كيج. ويا كيكج، مخطوطة رقم or. 14. 316 : الصفحة الأولى من مجموع يتضمن أربعة نصوص في النحو، من أتشه Aceh، إندونيسيا القرن ١٩ [١٢هـ].



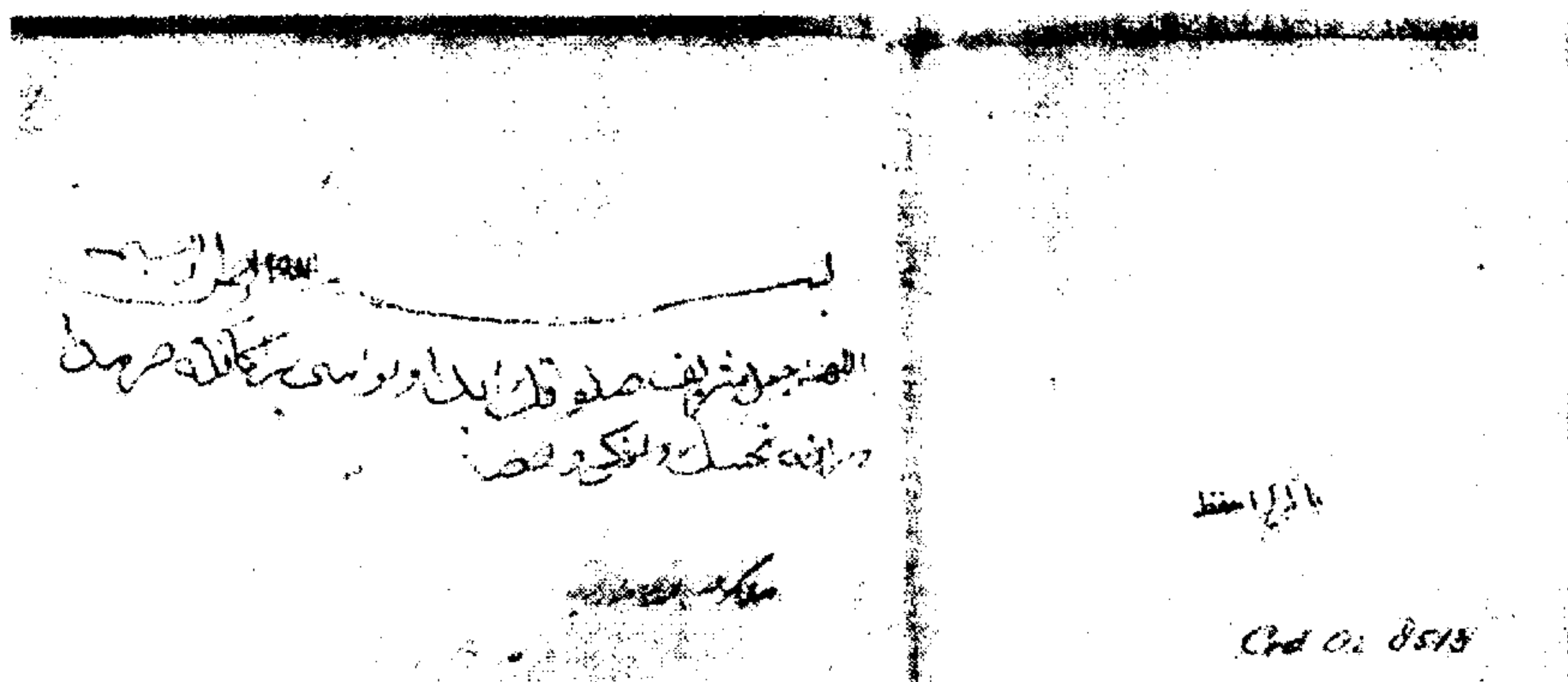
كبيكج. مخطوط رقم Or.11.610: المختارات - في الفقه الحنفي، لعلي بن أحمد الجمالي (توفي ٩٣١هـ) /
 (١٥٢٥م). تركيا، القرن ١٨م [١٢هـ].



يا حفيظ يا كبيكج. مخطوطة رقم Or.11.601: مختار الصُّحاح - مختصر معجم الجوهري. مؤرخة ٩٣٥هـ /
 ١٥٢٩. من تركيا.



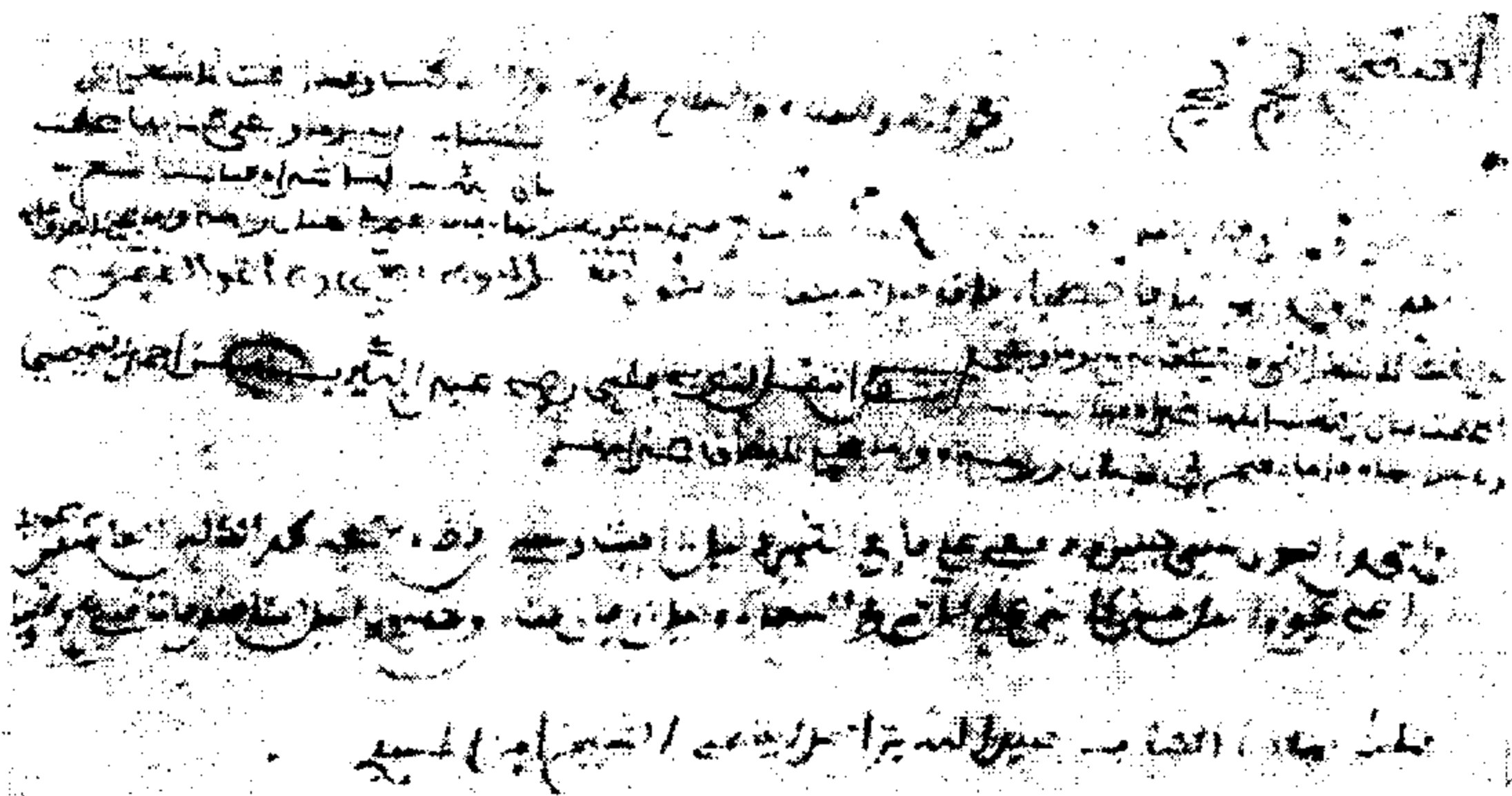
يا كبيكج يا حفيظ. مخطوطة رقم Or.11.564: متن الرواية في علوم القراءة والدراية، لابن الكثاني (القرن ١٨ -
 ١٩) / [١٢ - ١٣]. مؤرخة في إستانبول ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م.



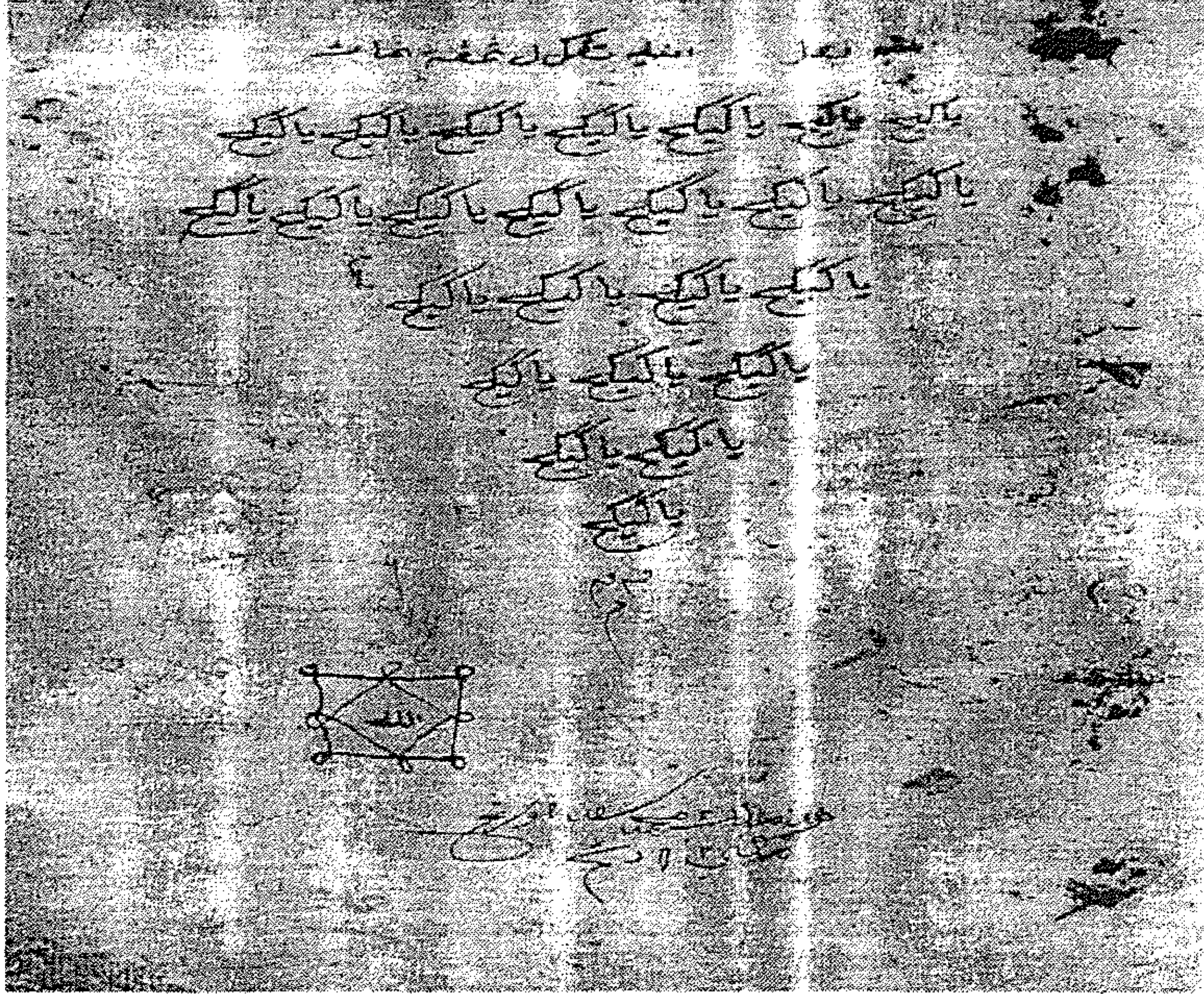
يا كبيكج احفظ. مخطوطة رقم Or.8513: خلاصة الإعراب، لحاجي بابا - شرح على المصباح للبيضاوي. تركيا القرن ١٨م [١٢هـ].



يا كنينكج. مخطوطة رقم Or.14. 257، ورقة ٢٢٩ب: شرح لب الألباب في علم الإعراب، لنقرة كار. من تركيا، أو إيران. القرن ١٧ - ١٨م [١١ - ١٢هـ].



أكيكج كج كج. مخطوطة رقم Or. 11. 684: زبدة البيان في حرفة عيون الأعيان - شرح لموجز أبي زيد عبد الرحمن الأخطري - في العقيدة الإسلامية. مؤرخة ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م. من المغرب.



يا كيج، ويا كيجكح. مخطوطة رقم Or. 14. 316: الصفحة الأولى من مجموع يتضمن أربعة نصوص في النحو. من أتشه Aceh، إندونيسيا، القرن ١٩م [١٣هـ].